

جاهلية القرن العشرين

ملخص سريع



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين

المقدمة

كما هو واضح من عنوان الكتاب فإن الموضوع هو جاهلية القرن العشرين وبداية الموضوع تعريف الجاهلية .

بدأ الكاتب الكلام عن الجاهلية بتعريفها تعريفا بسيطا ألا وهو رفض الاهتداء بمنهج الله واتباع الوحي المنزل ولأن واقع الناس انتشر فيه من الغلط في مفهوم الجاهلية الكثير بدأ الكاتب في عرض التعريفات المعاصرة المختلفة.

أولها أن الجاهلية هي مقابل العلم والحضارة وأن الإسلام نزل لينقل الناس من تخلف العرب إلى تحضر الإسلام، والعلم، والملك، والسلطان . وذلك باطل من عدة أوجه: أن الوحي المنزل من الله لم ينزل بالنظريات العلمية والسياسية، والاقتصادية، والكشوفات الفلكية، وغيرها . بل نزل بهدى من الله ودعا الناس للتسليم لله وفيما أمر ونهى وتصديق رسوله فيما بلغ وأخبر ومن رفض ذلك فهو على الجاهلية . وأن الله قد بعث من قبل النبيين في حضارات ذات بنيان وحضارة كما هو الحال في فرعون وقومه وعاد وحضاراتهم وكانوا على الجاهلية وبعث الله لم النبيين ولما كذبوا أخذهم بالعذاب ولو كانت الجاهلية عكس الحضارة لما بعث الله النبيين لفرعون ! !

ثانيها أن الجاهلية هي حالة العرب قبل الإسلام أي هي حالة تاريخية قد ولت وانتهت ولا تكرار لها ولا مثيل، فمن يعبد في زماننا اللات والعزى ومن يطوف بالبيت عريانا ومن يصنع الأصنام من التمر ثم يأكلها ؟ ! ! وهو كذلك خطأ من عدة وجوه: أن الله بعث النبين في كل الأمم منذ ادم إلى محمد صلوات الله عليهما وكل الرسالات موضوعها الأساسي واحد توحيد الله تعالى والانقياد والتسليم له ولرسله فإن كانت الجاهلية في العرب قبل الإسلام وحسب فلما بعث النبيين على مدار التاريخ في شتى الأمم ؟ كما أن الله في كتابه قد وصف بعض الأفعال بأنها جاهلية فإن تكررت في حضارة أخرى أو مجتمع اخر كانت ولابد جاهلية أيضا كتبرج الجاهلية وحمية الجاهلية وهكذا .

وبعد تعريف الجاهلية يبين الكاتب هدف الدراسة: توضيح مظاهر الجاهلية الحديثة التي أخذت بعقول الناس وفتنتهم عن دينهم وتبيين خطأهم وما هي عليه من الشر الناتج عن الانحراف عن هدى الله سبحانه محاولة في هدم زخرفها لمن خدع بها وردا له لدينه الصحيح الذي فيه الخير المطلق.

التمهيد

أحد أكبر المشاكل في إظهار مفاسد الجاهلية هي تفسيرات هذه المفاسد وأسبابها فإن الجاهلية تخبرهم أنها لا تخالف ما أنزل الله وأحيانا أنها لابد لها من الانحراف لأن ذلك حتمي لتغيير الزمان وبالطبع لا يسمونه انحرافا، بل تطورا ! وأحيانا يفسرونه تفسيرا دنيويا وحسب فيردون كل مفسدة إلى سببها السابق المباشر في تنكر دائم ونأي عن الله وسننه وأوامره في "علمانية" تفسيرية.

وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها

وبعض صور التفسيرات الحديثة أن سبب الفساد هو راس المال أو الصراع الطبقي أو التناقضات الحتمية وهكذا . تيه في التفسيرات والمشترك فيها كلها أنها بعيدة عن منهج الله.

نشأة الجاهلية الحديثة وجذورها في التاريخ

انطلاقا من التعريف السابق للجاهلية فإن أحوال الناس منذ خلق الله ادم إلى قيام الساعة بين حالين لا ثالث لهما الإسلام والجاهلية.

وهي كذلك مرتبطة بالإنسان نفسه من حيث قابليته للخير والشر "فألهمها فجورها وتقواها" وفي ذلك تأكيد على التعريف السابق وبناء عليه.

وكل جاهلية في مدار التاريخ تتأثر بمجتمعها من حيث أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية، والسياسية، والعلمية، وغيرها.

والبحث الذي بين أيدينا عن الجاهلية المعاصرة وجذورها: وهي الجاهلية اليونانية وأختها الرومانية وبعدهما العصور الوسطى وذلك لأن الحضارة الأوروبية هي مصدر الجاهلية المعاصرة وجذورهما واحدة.

الحضارة اليونانية كانت مليئة بالوثنية والشرك ومليئة بالقصص المتخيلة عن المواقف بين الالهة والإنسان ومن أخطر تلك القصص قصة بروميثيوس: وهي أن بروميثيوس كان كائنا أسطوريا وشعر بالعطف نحو الإنسان فأعطاه النار المقدسة بعد أن سرقها من

السماء فعاقبه كبير الآلهة زيوس بأن قيده في الجبال وأرسل إليه نسرا يأكل كبده ثم تتجدد الكبد في الليل ليكمل العذاب في النهار وأرسل إلى البشر باندورا أول أنثى في الأرض ومعها صندوق يحتوي على كل الشرور ليدمر الأرض.

وانتشرت تلك القصة في تصور الناس عن أن العلاقة بين الناس والالهة هي صراع وأن سلاح الناس فيه هو علمهم وأن الالهة تريد أن يبقى الناس في الجهل وتعاقب من ساعدهم على التعلم ! فأصبح إثبات الإنسان لذاته هو نفسه صراعه مع الالهة ! !

كما أنها صاحبة تقديس العقل فلا حقيقة إلا ما يتوصل إليه العقل حتى الله سبحانه جعلوه مفهوما عقليا لا وجود لا في الواقع، بل محض فكرة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا !

أما الحضارة الرومانية فهي صاحبة المادية فلا حقيقة إلا ما تتوصل إليه الحواس كما عظموا وتوسعوا في المتع الحسية فانتشرت الفواحش وعظمت حتى كانت تقام الساحات الواسعة التي يحضرها الناس بالآلاف لمشاهدة العبيد يأكلهم الأسود أو يقتل بعضهم بعضا ويتلذذون بالدم والقتل، بل يدفعون الأموال لمشاهدته.

أما في العصور الوسطى فجاهلية الدين المحرف، فمنذ أدخل قسطنطين الوثنية في المسيحية وجعلها دين الدولة المؤسسي انتقلوا من شر إلى شر: من الجبايات الكنسية والحروب الصليبية وتشريع قرارات باسم الله على لسان البابا إلى صكوك الغفران ومحاربة الكنيسة للعلم التجريبي المخالف لكتابهم المحرف وغيرها من البلايا التي جعلت الأوروبي ينتهي إلى كراهيته للكنيسة التي عظمت وكبرت إلى أن صارت كراهية لله ولدين أصلا وهو ما جعل الحضارة المعاصرة دنيوية بعيدة عن الدين "علمانية".

وأشار الكاتب إلى أن الغرب لما تخلى عن المسيحية وجد من حضارة المسلمين وعلمهم ما يوافق ما وجده علمائهم، بل فيه المنهج التجريبي الذي هو أصل البحث العلمي والاكتشافات في العصر الحديث، ولكنهم أخذوا هذا العلم والمنهج بعلمانية ففصلوه عن مصدره الرباني وتنكروا له، بل وتنكروا لعلماء المسلمين !

كان ما سبق جذور الجاهلية في الحضارات السابقة أما هي فقد كان لها من المؤثرات المختلفة ما جعلها مختلفة عنهم وعن الجاهليات الأخرى: كداروين والانقلاب الصناعي وماركس وفرويد ودركايم

أما داروين فهو أول من اقترح التطور وجعله بديلا عن الله في الخلق !

وأما الانقلاب الصناعي فهو الذي أخذ الناس من روابطهم الاجتماعية إلى مدينة المصانع حيث العمل المضني لأجل العيش وحسب هربا من الإقطاعيات إلى ما هو أسوء، كما أخرج المرأة من منزلها إلى العمل لتنافس الرجال وليزيد العرض على الوظائف فتنخفض الأجور أكثر، وما جره ذلك عليهم من تفكك البيوت وانتكاس الفطر وهو الذي فتح على الناس أبواب الشهوات من خمر وزنا ليأخذ أموال الناس ولينسيهم ما هم فيه من عبودية وقهر لصاحب المصنع.

ودركايم من قال إن الدين ليس فطرة وأن الأخلاق مصدرها المجتمع وهي تتغير بتغيره!

وماركس من قال إنه أفيون الشعوب وأن الأخلاق مصدرها الوضع الاقتصادي!

وفرويد يقول إن الدين يسبب الكبت الذي يؤدي للمشاكل النفسية وأن مسبب ذلك من الدين هو الأخلاق!

مظاهر الجاهلية الحديثة

نبدأ بالخصائص العامة لكل الجاهليات

انطلاقا من تعريف الجاهلية فإن أهم خصيصة من خصائص الجاهلية هي عدم الإيمان الصحيح بالله سواء على مستوى العلم بالله والايمان به وبصفاته والتوحيد أو على مستوى الأوامر والنواهي والشريعة دون تفريق في التسليم بين هذا وذاك. وهذه الخصيصة في كل الجاهليات.

وبما أنها لا تؤمن بالله حق الإيمان أو لا تتبع مقتضى ذلك الإيمان فلا بد لها من مرجعية أخرى وهي الأهواء: سواء كانت أهواء الكنيسة أو أهواء الاقطاعيين أو أهواء الشعوب فكلها أهواء وكلها جاهلية.

والخاصية الثالثة هي الطواغيت الذين يصدون الناس عن عبادة الله ويدعونهم إلى عبادتهم واتباع شرائعهم (أهوائهم) سواء كان فردا، أو فئة، أو قبيلة، أو مجتمعا كاملا، كل ذلك حين يصد عن سبيل الله ويدعو الناس لغيره فهو طاغوت.

الرابعة هي الانحراف في الشهوات فحين لا تكون المرجعية لله ودينه وتكون للأهواء فإن الانسان يسير وراء شهواته دون قيود وتسيطر عليه اللذة وتنتكس الفطرة. ويكون انتشار الفاحشة إما لأنها بدون قيود وإما لأنها تحت تشجيع الطاغوت ينشرها بين الناس.

أما الجاهلية المعاصرة فلها خصائص مميزة:

1. التقدم العلمي الفائق الذي يستخدم في تضليل البشر عن وحي الله
2. تبجح الانسان في مواجهة الخالق سبحانه
3. النظريات "العلمية" المتجددة التي توجه الناس للانحراف في الاجتماع والاقتصاد والسياسة
4. الفتنة بالتطور
5. تحرير المرأة

فساد في التصور

تحدث الكاتب عن فساد التصور النابع من عقيدة الانسان الجاهلي المعاصر في جانب التصور عن الله وعن الانسان وعلاقته مع الله وعن الكون وعلاقة الانسان به وعلاقته بالله

1. في تصوره عن الله وعلاقته به تخبط بين تعدد الآلهة والصراع بينهم وبين عبادة الإنسان، ثم المسيحية المخلوطة بالوثنية، ثم فصل الدين عن واقع الحياة إلى العداء مع الدين كليا ومع الله . وذكر الكاتب عبادة الطبيعة التي انتشرت حول عصر النهضة، وبعدها الانقلاب الصناعي الذي جاءت معه النهضة الحضارية التي تبجح بها الانسان أمام الله الذي وهبه العلم والعقل وأدوات المسخرة في الأرض فاتجه لعبادة نفسه، فظهرت له مشاكل شتى داخل نطاق "الانسان"، الصراع الطبقي والسيطرة السياسية والحروب الدموية والظلم والبغي وغيرها فعلم أنه حتما وقطعا ليس إله، فترك عبادة نفسه وعبد الحتميات الاقتصادية والاجتماعية والتاريخية .
2. في تصوره عن الانسان اتبع دارون الذي أخبره أنه حيوان من الحيوانات وأنه مخلوق من مخلوقات الطبيعة لا هدف له سوى البقاء، ثم أتي فرويد ليصور له أنه كائن كل دوافعه نابعة من الجنس والشهوة منذ الطفولة، ثم التفسير الجسدي للمشاعر حيث أصبح جسد الانسان هو مصدر مشاعره عن طريق التفاعلات الكيميائية فلا حزن ولا فرح إلى لأن التفاعلات أقرت ذلك ! !
3. وأيضا في تصور علاقات الانسان تخبطوا بين من عظم قدر الفرد وجعله هو الأساس والجماعة تابعة للفرد ورغباته وبين من قدس الجماعة فجعلها تستعبد الأفراد وتلغي استقلاليتهم .

فساد في السلوك

أول مظاهره التي ذكرها الكاتب هي فصل السلوك عن التصور فالتصور تحكمه أفكار الناس وأهواءهم أما السلوك فيحكمه التجربة والواقع، وكيف يكون ذلك وعلى أي شيء يقوم السلوك إن لم يقم على التصور ؟ ! ! فإنه حين لا تكون مرجعية فإن الأفعال لا بد أن تتبع الهوى وتنحرف تدريجيا وهو ما شرع الكاتب في توضيحه في هذا الفصل في كافة المجالات

في السياسة

تحدث الكاتب في هذا الفصل عن طاغوت الاقطاع وطاغوت الكنيسة وكيف استعبدا الناس وكيف ظهرا في المجتمع الغربي ولم يظهرا في غيره لما فيه من الانحراف الشديد عن هدى الله، ثم يتبعه بنقض للطاغوتين الأكبرين الذين ظهرا بعده وهما طاغوت الاشتراكية التي قدست الجماعة وعبدت الحتميات التي بين الكاتب أنها ليست حتمية لكنها ضلال وتحكم نظري باطل وانحراف عن المعرفة بسنن الله . و في طريقها قتلت الملايين و نهبت أموالهم ثم أعطتها للمتحكمين من الحكومة و أعطت عموم الناس القليل من المال وانتشر الفقر و المجاعات ، وطاغوت الرأسمالية التي قدست الفرد وحرياته وسمحت بالربا و الاحتكار و نشرت الفواحش بجميع أشكالها إمعانا في السيطرة المالية على الناس عن طريق شهواتهم ، و التي استغلت قوتها في السيطرة على أموال الدول الأقل قوة و ثرواتهم الطبيعية والبشرية، والتي عبّدت الناس لبعضهم البعض في نظامها القانوني عن طريق الديموقراطية التي تعطى لبعض الأفراد الحق في التشريع ذلك التشريع الذي لا بد أن يكون في صالح تلك الفئة المشرعة وغيرها من صور الجاهلية والطغيان .

في الاقتصاد

ولأن الكاتب في نقد السياسة الغربية نقد الرأسمالية والشيوعية وهما نظريتان اقتصاديتان فقد كرر الكلام مع تركيز على الشق الاقتصادي أكثر من شق النظريات عن الانسان فردا وجماعة، كما تحدث عن الحتميات المدعاة وكيف أنها خطأ في نفسها وليست حتميات أصلا كما وصفها واضعها ويضع بديلا تفسيرا آخر يفسر الإنسان حيث هو الفاعل الأهم في التاريخ والاقتصاد بشقيه "الفرد والجماعة"، كما تحدث عن الملكية بين الشيوعية والرأس مالية والتخبط في الحالتين .

في الاجتماع

يحلل الكاتب في هذا الفصل تحليلا تاريخيا للحالة الفرد والمجتمع ودوافعهما في التاريخ الأوروبي، وكيف ووصل بهم الحال إلى طاغوتي الاشتراكية والرأسمالية كما يتحدث عن النظريات التي أعلت من قيمة الفرد فجعلته يفعل ما يشاء وتوسع له جميع الأبواب حتى على حساب الجماعة، وعلى النقيض من ذلك النظريات التي ألغت كيان الفرد فلا تجعل له الحق في اختيار فكره، أو تربية أبنائه أو امتلاك المال أو المعارضة السياسية ويتناولها بالتحليل العميق الذي ينم عن اطلاع واسع وعين تحليلية بارعة وعزة إسلامية خالصة.

في الأخلاق

تحدث الكاتب في هذا الفصل عن تاريخ الأخلاق الأوروبي وكيف أنه منذ جذوره في تحريف دين المسيح على يد قسطنطين وهو في طريقه للانهيار على مهل جزءا جزءا حتى وصلنا للوضع الحالي من فواحش وأخلاق المصلحة المسيطرة على العقل الغربي، ووضح أن السبب الرئيسي هو البعد عن حكم الله في الأخلاق فحين لا يكون الحكم لله يكون ولا بد للأهواء وأهواء الناس تتقلب وتتغير من حال إلى حال. وكيف أن بقايا الأخلاق في عاداتهم من الديانة المسيحية قد خدعتهم حين تركوا الدين فظنوا أن الأخلاق يمكن وجودها دون الرجوع لله وبهذا سقطوا في الفخ وانحدرت الأخلاق تباعا لما فتحته الرأس مالية من آفاق الشهوات على نفوس الناس وبما في الناس من نزوع نحو الشهوات دون خوف من الله يمنعهم من طغيانها. كما تحدث عن انفصال الجنس عن الأخلاق في العقل الغربي وتحدث عن بعض الفضائح الغربية في باب الأخلاق يضيق الملخص بذكرها.

في العلاقة بين الجنسين

تحدث الكاتب عن الجذور في الديانة المسيحية المحرفة، فقد نظروا إلى العلاقة الجنسية أنها نجس و دناءة و أنها شر لا بد منه وأن أفضل الناس هم الذين يبتعدون بالكلية عن تلك العلاقات كما هي حال الرهبان، ونظرا لهذا الكبت تفشت الفواحش حتى في داخل الكنائس وظهرت الفضائح الشنيعة حول ما يحدث داخل أسوارها و أتبعها تفسير داروين الحيواني للإنسان و تفسير فرويد الجنسي و فصل الأخلاق عن الدين وترسب ذلك كله في الجاهلية المعاصرة، كما ظهر من العوامل الجديدة ما ساعد على الفساد أكثر، فظهرت موانع الحمل و خرجت المرأة للعمل المختلط بالرجال و ظهر الاستغلال الرأس مالي للشهوات، فزادت

الفاحشة يسرا على الرجال والنساء و أصبح الأمر في زماننا في الغرب أن الأصل في الناس عدم الزواج ! وكل ذلك له آثاره العظيمة على الأسرة والأطفال الذين يولدون في ظل حضارة فاحشة وأسرة متفككة .

في الفن

وهذا الفصل فريد وللكاتب كتاب "منهج الفن الإسلامي " عن نفس الموضوع . وفي هذا الفصل تكلم عن فكرة أن الفن غير مرتبط بالواقع وقال إن الفن ما هو إلى نشاط إنساني لا بد وأن يرتبط بمصدره ويعبر عما بداخله من تصورات . وأكمل الكاتب بسعة اطلاعه سردا تاريخيا ممزوجا بالنقد للفن الغربي المنبثق من الأوروبية الجاهلية مرورا بالعديد من المدارس الفنية التي كانت تعبر في كل طور من أطوارها عن حال الإنسان في الغرب

في كل شيء

بعد عرض مساوئ الجاهلية في كل المجالات السابقة وتفسيرها تفسيرا إسلاميا واقعيا يرد الأمور إلى منهج الله، إلى سنن الله، فيتحدث الكاتب عن العلم موضحا أنه ليس سوى أداة محايدة وأنها في أصلها ناتج لمنهج الله أخذه الغرب من المسلمين وبنوا عليه حضاراتهم وأن العلم ليس هو الحضارة المعاصرة وليس مضاد الدين أو ضد الإله ! وأن تمكين دين الله في الأرض لن يمحو العلم، بل هو مصدره أصلا وهو الدافع له فكيف يضاد الدين ما حث عليه ؟ ! !

لا بد من الإسلام

وهو أطول فصول الكتاب وفيه يوضح بأسلوب بسيط كيف يعالج الإسلام التصور والسلوك والسياسة والاقتصاد والاجتماع والأخلاق والفن وكيف أنه في ظل المجتمعات الإسلامية لا تظهر طواغيت الغرب، وكان عرض المنهج الإسلامي في هذا الفصل لا يتعرض للتفاصيل وإنما يعرض الخطوط العريضة ويربطها بمشاكل الغرب وكيفية علاجها، بل تفاديها . وهو أهم فصول الكتاب .

لماذا يكرهون الإسلام

بعد عرض الكاتب للمشكلات تفصيلا وعرض حلها في المنهج الإسلامي يجئ السؤال بداهة لما يرفض الغرب الإسلام، بل لم يكرهونه؟! وفي هذا الفصل يتحدث الكاتب عن تصور الخير والشر والصراع بين المؤمنين والكافرين على مدار التاريخ بين أتباع الأنبياء وأتباع الهوى والشيطان، ويحلل دوافعهم تحت مظلة قصص الأنبياء وآيات الوحي الكريم.

عودة الانسان إلى الله

ختم الكاتب بأن حال الحضارة الغربية في زيادة وقوة في الجانب المادي وأنهم في نفس الوقت في انحدار وتدمر داخلي في الجانب الأخلاقي، وتوقع أن الله إما أن يأخذهم بالعذاب حين يصلون أقصى حالات الفساد أو يردهم الله إليه وهو ما رجحه الكاتب من باب إحسان الظن بالله، كما أن الله وعد المؤمنين بالتمكين والنصر إن هم حققوا العبودية في قوله سبحانه "إن تنصروا الله ينصركم".